المبحـث الثالـث
أدلـة حجيـة السنـة النبويـة المطهـرة

وتحته خمس مطالب :

المطلب الأول : العصمـــة 0

المطلب الثانى : القرآن الكريـم 0

المطلب الثالث : السنـة النبويـة 0

المطلب الرابع : إجمـاع الأمـة 0

المطلب الخامس : العقل والنظر 0

وفيه ما يلى :

أ- ذكر نماذج من المسائل العجيبة التى استنبطها أعداء السنة من القرآن الكريم بدون رجوعهم إلى بيان النبى ، واستعراض بدائلهم عن السنة المطهرة 0

ب- بيان علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة 0

ج- بيان رتبة السنة النبوية من القرآن الكريم 0

د- الكلام عن استقلال السنة بتشريع الأحكام، وتحرير الخلاف فى ذلك، والرد على من اتخذ كلام الإمام الشاطبى فى مسألة استقلال السنة بتشريع الأحكام ستاراً للتشكيك فى حجية السنة واستقلالها بتشريع أحكـام 0

هـ- بيان مضار إنكار السنة النبوية 0

و- حكـم منكـر السنـة النبويـة 0

المطلـب الأول

العصمـة

السنة النبوية أصل من أصول الدين، وحجة على جميع المسلمين، **وقد دل على ذلك : العصمة، والقرآن الكريم، والسنة النبوية وإجماع الأمة، والعقل والنظر** 0

أولاً : العصمـة :

قبل أن أذكر تعريف العصمة، وبيان دلالتها على حجية السنة، بل وحجية القرآن الكريم أيضاً، ينبغى أن أنبه على أن الكلام عن العصمة فى الحقيقة من مباحث علم الكلام[1]؛ لأنه علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى، وذات رسله من حيث ما يجب لهم، وما يجوز، وما يستحيل فى حقهم 0

لكن علماء الأصول تناولوا العصمة بالحديث فى مباحث السنة، نظراً لشدة التصاقها بها، حيث تتوقف حجية السنة بل والقرآن أيضاً على عصمة النبى [2]، إذا علم ذلك أقول وبالله التوفيق :

العصمة فى اللغة : المنع والحفظ والوقاية 0 يقال عصمته فانعصم واعتصمت بالله : إذا امتـنعت بلطفه من المعصية، وهذا طعام يعصم أى : يمنع من الجوع، ومنه قوله تعالى – على لسان ابن نوح عليه السلام – :

[3] أى يمنعنى من تغريق الماء، ويقال دعى إلى مكروه فاستعصم 0 أى امتنع وأبى وطلب العصمة منه، قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز حين راودت يوسف عليه

---

1 () الإبـهاج فى شرح المنهاج 2/263 0

2 () انظر : دراسات أصولية فى السنة للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى ص 19 بتصرف 0

3 () الآية 43 من سورة هود 0

السلام عن نفسه : [illegible] [4] أى تأبى عليها ولم يحبها إلى ما طلبت[2]0

وفى الاصطلاح : حفظ الله للمكلف من الذنب، مع استحالة وقوعه من المحفوظ، والمراد عصمتهم - أى الأنبياء - من ذلك ظاهراً وباطناً، فالله تعالى عصم ظاهرهم من الزنا، وشرب الخمر، والكذب، وغير ذلك، وعصم باطنهم من الحسد، والرياء وحب الدنيا إلى غير ذلك من منهيات الباطن"[3]0

وقيل فى تعريفها : هى خُلُق، مانع عن ارتكاب المعصية، غير ملجئ إلى تركها، فلا يكون مضطراً فى ترك المعصية[4]0

دلالة العصمة على حجية القرآن والسنة :

يقول الدكتور عبد الغنى عبد الخالق - رحمه الله - : "اعلم أنه تجب عصمة الأنبياء عن أى شئ يخل بالتبليغ : ككتمان الرسالة، والكذب فى دعواها، والجهل بأى حكم أنزل عليهم، والشك فيه، والتقصير فى تبليغه، وتصور الشيطان لهم فى صورة الملك، وتلبيسه عليهم فى أول الرسالة وفيما بعدها، وتسلطه على خواطرهم بالوساوس، وتعمد الكذب فى أى خبر أخبرو به عن الله تعالى، وتعمد بيان أى حكم شرعى، على خلاف ما أنزل عليهم : سواء أكان ذلك البيان بالقول أم بالفعل، وسواء أكان ذلك القول خبراً أم غيره 0 فذلك كله : قد انعقد الإجماع من أهل الشرائع على

---

1 () جزء من الآية 32 من سورة يوسف 0
2 () انظر : لسان العرب 12/403، والقاموس المحيط 4/151، والمصباح المنير 2/566، وانظر: حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 87 هامش 0
3 () حاشية البيجورى على الجوهرة ص 160 0
4 () دراسات أصولية فى السنة للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى ص 19، 20، وانظر : البحر المحيط للزركشى 4/169-172، وإرشاد الفحول 1/159-164 0

وجوب عصمتهم منه لدلالة المعجزات التى أظهرها الله على أيديهم (القائمة مقام قوله تعالى : صدق رسلى فى كل ما يبلغون عنى) وعليه فإنه لو جاز عليهم شئ من ذلك، لأدى إلى إبطال دلالتها 0 وهو محال[1]0

كما انعقد الإجماع على أنهم معصومون من السهو،والغلط فيما يخل بالتبليغ،والذاهبين إلى تجويز ذلك عليهم يجمعون على اشتراط التنبيه فوراً من الله تعالى وعدم التقرير عليه[2]

وذلك يستلزم : أن كل خبر بلاغى – بعد تقرير الله له عليه – صادق مطابق لما عند الله إجماعاً : فيجب التمسك به يدل على ذلك قوله تعالى : **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾**[3] **فكلمة "ينطق" فى لسان العرب تشمل كل ما يخرج من الشفتين من قول أو لفظ[4]، أى ما يخرج نطقه ﷺ عن رأيه، إنما هو بوحى من الله 0[5]ﷺ**

ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء، وهذا واضح فى إثبات أن كلامه ﷺ محصوراً فى كونه وحياً لا يتكلم إلا به، وليس بغيره[6]0

---

1 () حجية السنة ص 97، 102، 251 0

2 () المصدر السابق ص 99 وما بعدها، وانظر : النفحات الشذية فيما يتعلق بالعصمة والسنة النبوية للشيخ محمد الطاهر الحامدى ص 21 وما بعدها0 وانظر : المحصول للرازى 1/501 وما بعدها، والمنهاج شرح مسلم للنووى 8/136 رقم 2371 0

3 () الآيتان 3،4 من سورة النجم 0

4 () انظر : القاموس المحيط 3/277، ومختار الصحاح ص 666، ولسان العرب 10/354 0

5 () تفسير القرطبى 17/84، 85 0

6 () تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص 55

فيثبت بذلك حجية قوله فى حق القرآن : "هذا كلام الله "[1]، وقوله فى الأحاديث القدسية : "قال رب العزة كذا"، أو نحو هذه العبارة، وقوله : **"ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان، متكئ على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه 0 ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى، ولا كل ذى ناب من السباع، ولا كل ذى مخلب من الطير، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغنى عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه"**[2]0

فهذه كلها أخبار، معصوم عن الكذب : فتكون حججاً دالة على أن الوحى قسمان :

القسم الأول : الكتاب المعجز المتعبد بتلاوته 0

والقسم الثانى ما ليس بكتاب وهو قسمان :

1- حديث قدسى، وهو ما نزل لفظه[3]0

---

1 () انظر : فى حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى، دفعه لافتراض أن القرآن كلام الله لا يثبت بذلك القول 0 حجية السنة ص 250 0

2 () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة، باب لزوم السنة 4/200 رقم 4604، والترمذى فى سننه كتاب العلم، باب ما نـهى عنه أن يقال عند حديث النبى 5/37 رقم 2664، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه 0

3 () **اختلف العلماء فى ذلك هل اللفظ من عند الله، أو من عند رسول الله ، وانتصر الأستاذ الكبير الدكتور عبد الله دراز للرأى القائل بأن لفظ الحديث القدسى من عند رسول الله=**

=فيقول عن هذا الرأى "وهذا أظهر القولين فيه عندنا، لأنه لو كان منـزلاً بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية فى نظر الشرع ما للنظم القرآنى، إذ لا وجه للتفرقة بين لفظين منـزلين من عند الله، فكان من

2- **وحديث نبوى وهو** : ما نزل معناه، وعبر عنه النبى ، بلفظ من عنده[1]0 وهذا القسم لقبه رب العزة بالحكمة[2] فى آيات كثيرة، منها قوله تعالى : ﴿... **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ0**[3]﴾

وقوله تعالى : ﴿ **0**[4]﴾

ومما هو جدير بالذكر أن رب العزة قد بين فى كتابه العزيز أن نوعى الوحى المعبر عنهما بالكتاب والسنة ليسا من المسائل الخاصة بالنبى ، وإنما هى سنة عامة فى الأنبياء جميعاً قال تعالى .﴾[5] ويقول رب العزة فى حق آل إبراهيم : ﴿

لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه، وعدم جواز روايته بالمعنى إجماعاً:وحرمة مس المحدث لصحيفته، ولا قائل بذلك كله أ 0هـ انظر:النبأ العظيم ص 16

1 ( ) حجية السنة للدكتور عبد الغنى ص 280 0

2 ( ) الحكمة فى اللغة تطلق على عدة معان منها : العلم، والفقه، والعدل، والحلم، والنبوة 0 انظر : لسان العرب 12/140،141، والقاموس المحيط 4/100، والمعجم الوسيط 1/190 0

3 ( ) الآية 231 من سورة البقرة 0

4 ( ) الآية 164 من سورة آل عمران 0

5 ( ) الآية 81 من سورة آل عمران 0

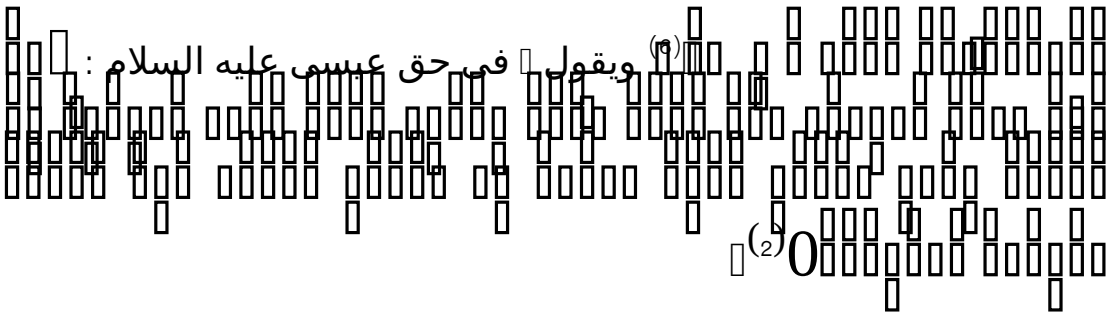

السنـة النبويـة وحى من الله تعالى :

ذهب العلماء إلى أن الوحى بالنسبة إلى السنة المطهرة ينقسم إلى قسمين :

1- **القسم الأول** : قسم أوحى الله تعالى بمعناه إلى رسول الله ، وعبر عنه الرسول بألفاظ من عنده 0 وهذا القسم هو الأعم الأغلب من السنة النبوية 0

1- **أما القسم الثانى** : فهو ما قاله الرسول باجتهاده مما يعلم أنه من شرع الله تعالى، فإن وافق قوله أو فعله مراد الله تعالى، فالأمر كما أخبر به رسول الله ، وإن كان الأمر يحتاج إلى تصحيح أو توضيح 0 أوحى الله تعالى إلى نبيه بذلك 0

والقسم الثانى هذا هو الأقل فى السنة الشريفة[3] ويدخل فى هذا القسم ما صدر من رسول الله على سبيل العادة والطبيعة وأقره الله عليها، كشؤونه فى طعامه وشرابه ولباسه، وجلوسه ونومه وما ماثل ذلك، فإن ذلك كله بعد تقرير الله له، يكون بمنزلة الوحى حجة على العباد ما لم يقم دليل على خصوصيته بالنبى 0[4]

---

1 ( ) الآية 54 من سورة النساء 0
2 ( ) الآية 110 من سورة المائدة 0
3 ( ) تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص 54
4 ( ) حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى ص 340 بتصرف 0

ومن الأدلة على أن السنة النبوية وحى منزل من عند الله

قوله : [illegible][1] فهذه الآية- من سورة النساء- تدل على أن الحكمة نزلت من عند الله تعالى مثل القرآن الكريم، وفى سورة الإسراء يقول رب العزة: [illegible]**0**[2] والآية واضحة فى أن الحكمة وحى من الله تعالى مثل القرآن الكريم 0

ومن دقة الأداء القرآنى فى التعبير عن هذين النوعين من الوحى (الكتاب والسنة)؛ أنه فصل بينهما بواو العطف إذا اجتمعا، ليبين أن هذين النوعين مختلفان لضرورة التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه، فالمنطق يقتضى أن الشئ لا يعطف على نفسه وصاحب العقل الفصيح يلمح الإشارة فى قولم تعالى : [illegible][3] حيث فرق رب العزة، بين الكتاب والحكمة بحرف العطف ليدل على تغايرهما، وأفرد الضمير العائد عليهما، ليدل على وحدة مصدرهما وأن المشكاة واحدة[4]0

وأنت تستطيع أن تتأمل فى أية الأحزاب، كما تأملها الإمام الشافعى من قبل، يتضح لك أنها أوضح مما ذكر فى الدلالة على أن المراد بالحكمة السنة المطهرة، قال تعالى : [illegible]

---

1 ( ) الآية 113 من سورة النساء 0
2 ( ) الآية 39 من سورة الإسراء 0
3 ( ) الآية 231 من سورة البقرة 0
4 ( ) السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 66 بتصرف، وفيما سبق رد على ما زعمه مؤلف لماذا القرآن أن أفراد الضمير دليل على أن الحكمة هى القرآن، ولو كانت شيئاً آخر غير القرآن لقال يعظكم بهما، انظر : لماذا القرآن لأحمد صبحى منصور ص 28 0

[illegible][5]0 فالتلاوة هنا المرة بعد المرة، والمتلو هنا شيئان، أولهما : آيات الله فى كتابه، وثانيهما : الحكمة وهى صنف آخر من الوحى المتلو، ولا يكون ذلك إلا السنة النبوية المطهرة[2]0

ولو شغب أعداء الإسلام على تفسير "الحكمة" بالسنة المطهرة، واعترضوا على ذلك[3]0 **قلنا لهم :** ماذا تقولون فى آيات تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، قال تعالى : [illegible][4]0

---

1 () الآية 34 من سورة الأحزاب 0

2 () السنة فى مواجهة أعدائها لفضيلة الأستاذ الدكتور طه حبيشى ص 67، وأنظر : الرسالة للإمام الشافعى ص 78، 79 فقرات رقم 252 – 257، والفقيه والمتفقه للخطيب 1/258 رقم 256، ومختصر الصواعق المرسلة لابن قيم 2/511، والمدخل إلى السنن للبيهقى حيث نقل بأسانيده عن الحسن، وقتادة، ويحيى بن أبى كثير – رحمهم الله – أنهم قالوا الحكمة فى هذه الآية يقصد آية "**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**" هى السنة، وللإستزادة انظر : السنة بياناً للقرآن للدكتور إبراهيم الخولى ص 32–46 0

3 () انظر : مجلة المنار المجلد 9/908 مقال الدكتور توفيق صدقى "الإسلام هو القرآن وحده" والصلاة لمحمد نجيب ص 277، وأصول الفقه المحمدى لشاخت نقلاً عن مجلة كلية الدعوة بليبيا العدد 11/665، قرآن أم حديث ص 29، والقرآن والحديث والإسلام ص 6 كلاهما لرشاد خليفة،= =والصلاة فى القرآن ص 12، 14، ولماذا القرآن ص 26 – 28 كلاهما لأحمد صبحي منصور، والإمام الشافعى نصر أبو زيد ص 89، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص 568، والدولة والمجتمع ص 232–235،كلاهما لمحمد شحرور، وإعادة تقييم الحديث لقاسم أحمد ص 75–78، وإنذار من السماء نيازى عز الدين ص 95 وما بعدها، ودليل المسلم الحزين لحسين أحمد أمين ص 44، وتبصير الأمة بحقيقة السنة لإسماعيل منصور ص 21، 114، 117،320 0

4 () الآيات 142 – 144 من سورة البقرة 0

فهذه الآيات الكريمات تدلنا على أن التوجه إلى بيت المقدس كان مشروعاً من قبل، وكان ذلك التوجه حقاً وصواباً واجباً عليهم قبل التحول إلى الكعبة، فأين ذلك كله فى القرآن الكريم؟

ألا يدل ذلك على أن النبى وأصحابه كانوا عاملين بحكم لم ينزل به القرآن، وأن عملهم هذا كان حقاً وواجباً عليهم؟!!

ولا يصح أن يقال : إن عملهم هذا كان بمحض عقولهم واجتهادهم 0 إذ العقل لا يهتدى إلى وجوب التوجه إلى قبلة "ما" فى الصلاة، فضلاً عن التوجه إلى قبلة معينة، وفضلاً عن أن النبىكان أثناء صلاته إلى بيت المقدس راغباً كل الرغبة فى التوجه إلى الكعبة المشرفة

إذن : كان التوجه إلى بيت المقدس بوحى غير القرآن وهو السنة المطهرة[1]0 **ومن الأدلة على أن السنة النبوية وحى من عند الله من السنة نفسها قوله** لوالد الزانى بامرأة الرجل الذى صالحه على الغنم والخادم، **والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد 0 وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام**"[2]، وليس فى القرآن المتلوا إلا الجلد مائة، ومن ذلك أيضاً قوله : **لا يستبطئن أحد منكم رزقه**"0 **إن جبريل عليه السلام ألقى فى روعى أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس، وأجملوا فى الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه؛ فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا ينال فضله بمعصية**"[3]0

---

1 ( ) حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى ص 336 بتصرف 0

2 ( ) سبق تخريجه ص 222 0

3 ( ) أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب البيوع 2/5رقم 2136من حديث ابن مسعود وسكت عنه هو والذهبى، وأخرجه الحاكم فى نفس الأماكن السابقة من حديث جابر بن عبد اللهوصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبى، وانظر:الرسالة للإمام الشافعى ص 93فقرة رقم 306 0

وفى الصحيحين : أنه قال : **"إن مما أخاف عليكم بعدى، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها"** فقال رجل : **أو يأتى الخير بالشر** يا رسول الله؟ قال : فسكت عنه رسول الله فقيل له ما شأنك؟ تكلم رسول الله ولا يكلمك؟ قال :وَرَأَيْنَا أنه يُنْزَلُ عليه، فأفاق يَمْسَحُ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ0 وقال : "أين هذا السائل" (وكأنه حمده) **فقال : "إنه لا يأتى الخير بالشر...الحديث**"[1]0فالحديث صريح فى أنه لكن ينتظر الوحى فيما يسأل عنه، فينزل عليه بما ليس بقرآن : **"وهو دليل قطعى على أن السنة كانت تنزل كما ينزل القرآن"**[2]، **ويستأنس لذلك بما روى عن حسان بن عطية**[3]**؛ أنه قال : "كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القران"**[4]0

---

1 () البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها 11/248 رقم 6427، ومسلم (بشرح النووى) كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض 4/154 رقم 1052 واللفظ له من حديث أبى سعيد الخدرى 0

2 () البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى 6/216 0

3 () حسان:هو حسان بن عطية المعاربى،أبو بكر الدمشقى،ثقة،فقيه،عابد،ومن أفاضل أهل زمانه،مات بعد العشرين ومائة من الهجرة 0 له ترجمة فى:تقريب التهذيب 1/199رقم 1028، ومشاهير علماء الأمصار ص 211 رقم 1423، والكاشف 1/320 رقم 1004، والثقات للعجلى ص 112 رقم 269، وحلية الأولياء 6/70 رقم 330، وصفوة الصفوة 4/222 رقم 755 0

4 () أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب السنة قاضية على كتاب الله 1/153 رقم 588، والخطيب فى الفقيه والمتفقه 1/266، 267 رقمى 268، 269، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم 2/191، وأبو داود فى المراسيل ص 167 رقم 567، وانظر : الموافقات 4/408، ومختصر الصواعق المرسلة 2/512، وحجية السنة للعلامة عبد الغنى ص 337، وشذرات فى علوم السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور الأحمدى أبو النور ص 32 0

هذا كله فضلاً عن أن الإجماع قد انعقد على أنه كان يوحى إليه غير القرآن الكريم[1]0

وتأسيساً على ما سبق، فإننا نقول : إن السنة الشريفة وحى من الله تعالى ابتداءً وهذا هو الأغلب، أو اجتهاد من الرسول وأقره ربه عليه إما بالموافقة أو بالتصحيح، ويكون مرد ذلك إلى الوحى أيضاً بإقرار الله تعالى لرسوله 0[2] وهذا النوع من الوحى يسميه جمهور الحنفية وحياً باطناً[3]0

فتبين لك من هذا كله : أن جميع ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير حتى الحركات، والسكنات فهى وحى من عند الله تعالى بعد إقرار الله عليه[4]0

والعصمة التى نتحدث عنها هنا تغنينا وحدها فى إثبات حجية جميع أنواع السنة القولية والفعلية والتقريرية والاجتهادية 0

---

1 () حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 338 0

2 () تيسير اللطيف الخبير فى علوم حديث البشير النذير لفضيلة الأستاذ الدكتور مروان شاهين ص 54

3 () انظر : أصول السرخسى 2/90 وما بعدها 0

4 () انظر : حجية السنة للعلامة الدكتور عبد الغنى عبد الخالق ص 340، 341 بتصرف 0

إجتهاد الرسول وتشكيك بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم فى أن السنة المطهرة كلها وحى

زعم بعض دعاة الفتنة وأدعياء العلم أن إجتهاد النبى ليس من الوحى الإلهى واتخذوا من ذلك مدخلاً للطعن فى السنة النبوية، وأنها ليست كلها وحى من عند الله تعالى[1]، ويستدلون على ذلك بحديث رسول الله الوارد فى قصة تأبير النخل بمختلف رواياته عن طلحة بن عبيد الله[2] قال : مررت مع رسول الله بقوم على رءوس النخل 0 فقال : "ما صنع هؤلاء؟" فقالوا : يلقحونه يجعلون الذكر فى الأنثى فيلقح، فقال رسول الله **"ما أظن يغنى ذلك شئ" قال فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله بذلك فقال : إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإنى إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذونى بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً، فخذوا به، فإنى لن أكذب على الله 0**

وفى حديث رافع بن خديج[3] قال : قال رسول الله : **"إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به 0 وإذا أمرتكم بشئ من**

---

1 () راجع : ما سبق فى الرد على الرافضة الذين طعنوا فى اجتهاد الصحابة ، واتخذوا منه مدخلاً للطعن فى عدالتهم ص 307-318 0

2 () طلحة بن عبيد الله : صحابى جليل له ترجمة فى : الاستيعاب 2/764 رقم 1280، واسد الغابة 3/84 رقم 2627، والإصابة 2/229 رقم 4266، وتاريخ الصحابة ص 24 رقم 5، ومشاهير علماء الأمصار 12 رقم 8 0

3 () رافع بن خديج : صحابى جليل له ترجمة فى : اسد الغابة 2/232 رقم 1580، والاستيعاب 2/489 رقم 726، والإصابة 1/495 رقم 2526، وتاريخ الصحابة ص 97 رقم 419، وتجريد أسماء الصحابة 1/173، ومشاهير علماء الأمصار ص 18 رقم 29 0

رأى فإنما أنا بشر"0قال عكرمة : أو نحو هذا 0وفى حديث أنس بن مالك قال:قال رسول الله :"**أنتم أعلم بأمر دنياكم**"[1]

وهذا الحديث من زمن طويل كان المشجب الذى يعلق عليه من شاء، ما شاء من أمور الشرع التى يراد التحلل منها[2]**، فقد أراد بعضهم أن يحذف النظام السياسى كله من الإسلام بهذا الحديث وحده**، لأن أمر السياسة أصولاً وفروعاً من أمر دنيانا، فنحن أعلم به 0

---

1 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأى ص 127/8، 128، أرقام 2361 – 2363 0

2 () السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص 32، وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية للعلامة محمد أبو زهرة ص 241 وما بعدها 0

فليس من شأن الوحى أن يكون له فيها تشريع أو توجيه، فالإسلام عند هؤلاء دين بلا دولة، وعقيدة بلا شريعة، وأراد آخرون أن يحذفوا النظام الاقتصادى كله من الإسلام كذلك، بسبب هذا الحديث الواحد المهم أن بعض الناس أراد أن يهدم بهذا الحديث الفرد كل ما حوت دواوين السنة الزاخرة، من أحاديث البيوع، والمعاملات، والعلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، وكأن الرسول قال هذا الحديث لينسخ به جميع أقواله وأعماله وتقريراته الأخرى، التى تكون السنة النبوية المطهرة 0

وهذا الغلو من بعض الناس، هو الذى جعل عالماً كبيراً مثل المحدث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر – رحمه الله – يعلق على هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد فيقول : "**هذا الحديث مما طنطن به ملحدوا مصر، وصنائع** أوروبة فيها، من عبيد المستشرقين، وتلامذة المبشرين، فجعلوه أصلاً يحجون به أهل السنة وأنصارها، وخدام الشريعة وحماتها، إذا أرادوا أن ينفوا شيئاً من السنة، وأن ينكروا شريعة من شرائع الإسلام، فى المعاملات وشئون الاجتماع وغيرها، يزعمون أن هذه من شئون الدنيا، ويتمسكون برواية أنس : "**أنتم أعلم بأمر دنياكم**"[1] والله يعلم أنهم لا يؤمنون بأصل الدين، ولا بالألوهية، ولا بالرسالة، ولا يصدقون القرآن فى قرارة نفوسهم 0 ومن آمن منهم فإنما يؤمن لسانه ظاهراً، ويؤمن قلبه فيما يخيل إليه، لا عن

---

[1] () بل وينكرون أركان الإسلام، انظر إلى ما يزعمه جمال البنا فى كتابه السنة ودورها فى الفقه الجديد ص 193، قائلاً : "بيان النبى فى العبادات من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو شورى ... إلخ، ليس تشريعاً دائماً لازماً" أ0هـ 0 وراجع من نفس المصدر ص 170، 195، 203، 225، وانظر : له الأصلان العظيمان ص 240 وما بعدها، وانظر : "الإسلام هو القرآن وحده" مقال الدكتور توفيق صدقى فى مجلة المنار المجلد 9/910، 911، وأضواء على السنة محمود أبو رية ص 42، 44، 93، وانظر:قصة الحديث المحمدى ص 14 – 17، ودراسة الكتب المقدسة للدكتور موريس بوكاى ص 293،299،والإمام الشافعى ص 84، ونقد الخطاب الدينى ص 126 كلاهما للدكتور نصر أبو زيد، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة للدكتور محمد شحرور ص 553، والسلطة فى الإسلام للمستشار عبد الجواد ياسين ص 248 وما بعدها 0

ثقة وطمأنينة، ولكن تقليداً وخشية، فإذا ما جد الجد، وتعارضت الشريعة، الكتاب والسنة، مع ما درسوا فى مصر أو فى أوروبة لم يترددوا فى المفاضلة، ولم يحجموا عن الاختيار، وفضلوا ما أخذوه عن سادتهم، واختاروا ما أشربت قلوبهم، ثم ينسبون نفوسهم بعد ذلك أو ينسبهم الناس إلى الإسلام 0 **والحديث واضح صريح، لا يعارض نصاً، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنة فى كل شأن، وإنما كان فى قصة تلقيح النخل أن قال لهم : "ما أظن ذلك يغنى شيئاً" فهو لم يأمر ولم ينه، ولم يخبر عن الله، ولم يسن فى ذلك سنة حتى يتوسع فى هذا المعنى إلى ما يهدم به أصل التشريع**[1] **أ0هـ 0**

ومن اجتهاد النبى ، وقوله **"أنتم أعلم بأمر دناكم"، ذهب بعض علماء المسلمين الأجلاء إلى تقسيم السنة النبوية المطهرة إلى قسمين :**

1- سنــة تشريعيــة ملزمــة ودائمـة 0

2- سنة غير تشريعية غير ملزمة ولا دائمة 0

وقصدوا بغير التشريع ثلاثة أنواع :

1- ما سبيله سبيل الحاجة البشرية، كالأكل والشرب والنوم والمشى والتزاور ... إلخ 0

2- ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية، كالذى ورد فى شئون الزراعة والطب، وطول اللباس وقصره 0

3- ما سبيله سبيل التدبير الإنسانى كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية ونحو ذلك فهذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً يتعلق به طلب الفعل أو الترك، وإنما هو من الشئون البشرية التى ليس مسلك الرسول فيها

---

[1] () انظر : مسند الإمام أحمد 2/177 رقم 1935 هامش، وانظر : الرد القويم على المجرم الأثيم للشيخ التويجرى ص 133-136 0

تشريعاً ولا مصدر تشريع[2] وبهذا التقسيم قال غير واحد من علماء المسلمين[2]0 وبالغ بعضهم حتى كاد يخرج قضايا المعاملات، والأحوال المدنية كلها، من دائرة السنة التشريعية 0 حيث كان يرى أن كثيراً من أوامر الرسول ونواهيه فى المعاملات كان أساسها الاجتهاد لا الوحى[3]0

حتى انتهى به هذا الاتجاه إلى أن حرم برأيه ما أحلته السنة النبوية! وما أجمع المسلمون – من جميع المذاهب والمدارس الفقهية – على حله، وذلك هو (بيع السلم) الذى رخص فيه النبى لحاجة الناس إليه، بعد أن وضع له الضوابط اللازمة لمنع الغرر والنزاع 0 ويسميه بعضهم (السلف) أيضاً، وبه جاء الحديث، ومضى عليه عمل الأمة أربعة عشر قرناً0 ففى الصحيحين عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قدم النبى المدينة، وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين، فقال : **"من أسلف فى**

---

1 () الإسلام عقيدة وشريعة للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ص 499 وما بعدها 0

2 () كالأستاذ محمد رشيد رضا فى مجلة المنار المجلد 9/858، والدكتور عبد المنعم النمر – رحمه الله – فى كتبه (السنة والتشريع) و (الاجتهاد) و (علم أصول الفقه) والشيخ عبد الجليل عيسى فى كتابه (اجتهاد الرسول)، والشيخ على حسب الله فى كتابه (التشريع)، والشيخ محمد الغزالى–رحمه الله– فى كتابة "كيف نفهم الإسلام" نقله عن الشيخ محمد المدنى، والدكتور محمد سليم العوا فى العدد الافتتاحى من مجلة "المسلم المعاصر"، والدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة 41، وغيرهم 0 انظر: العصريون معتزلة اليوم للأستاذ يوسف كمال ص 53–72 0

3 () انظر : السنة والتشريع ص 25، 26، وعلم أصول الفقه ص 24 وما بعدها كلاهما لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر – رحمه الله – وما ذهب إليه لا يفيده فى دعواه، لأن الاجتهاد إذا أقر كان بمنـزلة الوحى لأنه لا يقر على خطأ، كما هو مقرر فى علم الأصول، ولهذا يسميه علماء الحنفية (الوحى الباطن)0 هكذا قال فضيلة الأستاذ الدكتور القرضاوى رداً على الدكتور= =النمر فى كتابه السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص 17 هامش 0 ولا أدرى لماذا بعد ذلك يؤيد أنصار مدرسة تقسيم السنة إلى تشريع، وغير تشريع؟! أليس كل ما يقال فيه أنه سنة غير تشريعية ينطبق عليه ما قاله هنا من إقرار رب العزة لاجتهاد نبيه فيصير وحياً، حتى ولو كانت درجته الإباحة، كما سيأتى تفصيله بعد قليل؟!

تمر، فليسلف فى كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم"[4]0

بل قال ابن عباس : أشهد أن السلف المضمون إلى أجله، قد أحله الله فى كتابه، وأذن فيه 0 ثم قرأ : [illegible][2] وكلمة "أشهد" بمثابة "القسم" : فهذا رأى ترجمان القرآن 0

ولكن فضيلة الشيخ عبد المنعم النمر قال عن السلم : "وهو بيع معدوم موصوف فى الذمة، ويسير عليه كثير من الناس فى الأرياف، مستغلين حاجات الزراع استغلالاً سيئاً، مما يجعلنا نميل إلى تحريمه 0 من أجل هذا الاستغلال الكريه المحرم فى الإسلام[3]، **يقول الدكتور القرضاوى : "وكان أولى بالشيخ هنا أن يقتصر على تحريم الظلم والاستغلال، ولا يتعدى ذلك إلى تحريم التعامل الثابت بالسنة والإجماع**"[4]0

وإذا كان عمدة الأدلة عند من يذهبون إلى أن السنة المطهرة ليست كلها وحى، أو يذهبون إلى تقسيم السنة إلى سنة تشريعية وسنة غير تشريعية، إذا كان عمدة أدلتهم جميعاً، اجتهاده ، وقوله : "**أنتم أعلم بأمر دينا**كم" فلنحرر القول فى اجتهاده ، وبيان المراد من قوله "**أنتم أعلم بأمر دينا**كم" فإلى تفصيل ذلك 0

---

1 () أخرجه البخارى (بشرح فتح البارى) كتاب السلم، باب السلم فى وزن معلوم 4/501 رقم 2240، ومسلم (بشرح النووى) كتاب المساقاة، باب السلم 6/46 رقم 1604 واللفظ له، وانظر : نيل الأوطار 5/226 0

2 () الآية 282 من سورة البقرة 0

3 () السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر ص 42، 43، وانظر : له أيضاً علم أصول الفقه ص 28 0

4 () السنة مصدراً للمعرفة والحضارة للدكتور القرضاوى، وانظر : السنة والتشريع لفضيلة الأستاذ الدكتور موسى شاهين ص 28 0